# علاقة الامبراطورية البيزنطية بالصليبيين

# في عهد الامبراطور الكسيوس كومنين

## (٤٧٤-٥١١ هـ / ١٠٨١م -١١١٨م)

## (دراسة تاريخية)

د. علاء أبو الحسن إسماعيل

مركز إحياء التراث العلمي العربي / جامعة بغداد

المقـــدمـــــة

تعد العلاقات السياسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني من الموضوعات ذات الاهمية البالغة في تأريخ العصور الوسطى،لا بالنسبة إلى الغرب الأوربي فحسب وانما بالنسبة إلى الشرق المسيحي والإسلامي أيضا" وتأتي أهمية هذا الموضوع إلى انه يكشف عن جذور الكثير من الظواهر السياسية و الكنية التي ورثها عالمنا المعاصر عن العصور الوسطى،كما انه يلقي بعض الضوء على البناء الحضاري لكل من الشرق والغرب المسيحيين كما انه يوضح صور الاحتكاك السياسي ـ العسكري والاتصال الثقافي والاقتصادي الذي قام بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني.ويتركز هذا البحث حول مسألة العلاقات بين الدولة البيزنطية والصليبيين.وأهمية هذا الموضوع لا تخفى على الباحثين في التاريخ وذلك لان هذا القرن الذي نحن بصدده قد شهد مرحلة نشطة من الحركة الصليبية واشتد فيه الصراع البيزنطي ـ الإسلامي من ناحية والصراع الصليبي ـ البيزنطي من ناحية أخرى ففي بداية هذا القرن ـ القرن الثاني عشر ـ كان ميزان القوى في صالح الصليبيين والغرب اللاتيني ولكن عند نهايته كان الميزان قد اعتدل بشكل واضح وحاسم لصالح العالم العربي الإسلامي إلا إن الصورة مغايرة تماما" بالنسبة للصراع البيزنطي ـ الصليبي ففي بداية القرن الثاني عشر كان ميزان القوى في صالح العالم

البيزنطي ولكن عند نهايته كان الميزان قد اعتدل بشكل حاسم لصالح الصليبيين والغرب اللاتيني وبالتالي سقطت الإمبراطورية البيزنطية في الحملة الصليبية الرابعة عام ١٢٠٤م وأقام الصليبيون إمبراطورية لاتينية في القسطنطينية.وفي غمرة هذا الصراع السياسي – العسكري الذي نتج عنه الاحتكاك بين الشرق والغرب،قامت العلاقات المتعددة الزوايا بين الدولة البيزنطية والصليبيين....

ولقد تصديت لهذا الموضوع بجدية وصبر وأناة وحاولت بكل جهد أن ألم أطرافه وأمسك بناصيته لكونه من الموضوعات الشائكة والمعقدة خاصة وأن أطراف النزاع فيه عديدة ومتداخلة في بعضها ومسرح الأحداث فيها واسع وفسيح وعلى ضوء ما تقدم فقد ارتأيت أن يكون الموضوع مقتضب فاختصرته وحددته مع وسعه وكبر حجمه فقط في العلاقات السياسية والعسكرية إبان الغزو الصليبي للشرق،وقسمته إلى مبحثين تناولت في المبحث الأول التعريف بالإمبراطورية البيزنطية ثم وضحت الإخطار التي كانت تحيط بها قبيل الغزو الصليبي من خلال خطرين مهمين هما الغزو النورماني(١٠٨١-١٠٨٥)م والغزو السلجوقي(١٠٨١-١٠٩٥)وبينت فيها طبيعة العلاقة بين بيزنطة والغرب إبان هذين الخطرين.

أما المبحث الثاني فقد بينت فيه أحوال الإمبراطورية في القرن الحادي عشر والثاني عشر والحروب الصليبية،نشأتها وأسبابها ثم بيزنطية وطبيعة علاقتها بالبابوية ١٠٨١-١٠٩٥م من خلال توضيح شخصية أوربان الثاني ومن ثم الانتقال إلى بيزنطة من حيث طبيعة علاقتها مع الحملات الصليبية أثناء الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٧-١٠٩٩م وعلاقة بيزنطة بالحملة الشعبية وحملة الأمراء.ثم تستمر العلاقات وبعدها بينت أهمية معركة ضورليوم ١٠٩٧ للجانبين الصليبي والبيزنطي.كذلك قدمت عرضا" أخيرا" بينت فيه طبيعة علاقة البابوية في روما وتبشيرها بحملة صليبية ضد بيزنطة ١١٠٧م والعلاقة التي نجمت من جرائها.ومن ثم سياسة الكيوس كومنين بعد معاهدة دفول قبل وفاته سنة ١١١٨م.

أخيرا" يجب توضيح مسألة حول طبيعة العلاقة بين بيزنطة والصليبيين وهي إن هذه فيها من السعى الكثيرة جدا" والتي تبحث الجد والغوص في أبسط المداخلات

من أجل ذلك فقد انتصرت على العلاقات السياسية لا سيما أن في عصره حدثت الحروب الصليبية ونظرا" لطول عهد الحروب فقد ارتأيت أن توقفنا مع وفاة الكيوس كومنين لكي لا نخرج عن الهدف المقصود ومن الله التوفيق.

## المبحث الأول

تعرف هذه الإمبراطورية باسم الإمبراطورية البيزنطية أو(بيزنطة) ويرجع أصل هذه التسمية إلى بيزاس (Byzas) قائد الجماعة اليونانية التي هاجرت من مدينة ميكار (Megara) وأسست في القرن السابع ق.م تلك المدينة التي عرفت باسم (Byzantium) نسبة إلى قائدها . وقد كان موضع بيزنطة هو المكان الذي اختاره الإمبراطور قسطنطين لبناء عاصمة جديدة للإمبراطورية الرومانية ويبدو أن هذا المصطلح أي مصطلح بيزنطة ما هو إلا تسمية حديثة شاع استعمالها ولم تكن معروفة هذه التسمية عند شعوب هذه الإمبراطورية أو حكامها أو عند جيرانها بل عرفوا باسم الروم أو الإمبراطورية الرومانية الشرقية أو الإمبراطورية الرومانية المتأخرة[١] .

وقد جاء ذكر الروم في القران الكريم في سورة الروم(ألم*غلبت الروم*في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون*في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد...)[٢]

أما تأريخ هذه الإمبراطورية فانه يبدأ بحكم قسطنطين الكبير وإنشائه العاصمة الجديدة القسطنطينية بعد أن اعتنق المسيحية ووضع دولته تحت الإله ولم يدع الألوهية بقدر ما ادعى انه خليفة الله في الأرض وبذلك فقد ظفر بطاعة كل المجتمع المسيحي له وصبغ دولته بصبغة دينية لذا فقد اعتبر قسطنطين وأمه هيلين التي كانت بمثابة المستشارة الكبرى له من أعظم قديسهم. [٣]

## الأخطار التي تعرضت لها الإمبراطورية البيزنطية :

أولا": بيزنطة والغزو النورماني ١٠٨١-١٠٨٥م :

ترجع أسباب هذا الغزو حينما اتخذ الرومان من خلال إمبراطوريتهم من النورمان كجيش مرتزقة في خدمتها وبأعداد كبيرة جدا" وأبرز هؤلاء المرتزقة كانوا جماعة ــ روسل باليل ــ النورماني الذي يعد من الجماعات التي لعبت دورا" كبيرا" وخطيرا" في معركة ملاذكرد،وأخذ يعمل على إقامة إمارة لنفسه على حساب بيزنطة خاصة بعد انضمامه إلى السلاجقة ضدها[٤] هذا من جهة أما الخطر الأكبر فقد بدأ عندما توافد هؤلاء النورمان الى جنوب إيطاليا منذ أوائل القرن الحادي عشر واستقرارهم في أملاك الإمبراطورية البيزنطية في جنوب شبه الجزيرة الإيطالية وعملوا بكل ما لديهم من استغلال الظروف السياسية والاضطرابات التي كانت تحيط بها من أجل فرض نفوذهم وسيطرتهم على تلك الأملاك وانتزاعها من سيطرة الإمبراطورية رغم حرص الأباطرة لكبح جموح النورمان.إلا إن النورمان كانوا قد نجحوا في طرد البيزنطيين من شبه الجزيرة ألايطالية وبشكل نهائي عندما سقطت مدينة (باري) عام ١٠٧١م بيد زوبرت جيسكارد[٥] وعند اعتلاء آل كومنين عرش الإمبراطورية البيزنطية فان ألكيوس كومنين قد تنبه للخطر النورماني وعمل جاهدا" من أجل مواجهة الغزو النورماني من خلال اجراءات سياسية وعسكرية سريعة في الداخل والخارج وإدراكه منذ اللحظة الأولى عدم إمكانية التغلب على أعدائه من خلال قواته وإمكانياته الخاصة لذلك عمل على إجراء اتصالات خارجية تمثل ذلك باتصاله مع عدد من الشخصيات المناوئة لجوسيكارد ومن أقوى الشخصيات في زعماء الغرب كان هناك الملك هنري الرابع الذي أرسل إليه سفراء لعدة مرات إلا انه كان يعاني من أوضاع داخلية منعته من القيام بعمل ضد النورمان خدمة لبيزنطة.

والواقع أن الحملة النورمانية كانت قد وضعت وفق خطة مرسومة ومدروسة في ثلاث مراحل رئيسية،الأولى احتلال دورازو والثانية احتلال مدينة تسالونيكا التي تعد العاصمة الثانية للامبراطورية القسطنطينية والثالثة احتلال القسطنطينية واعتلاء جوسيكارد العرش فيها[٦] .

وقد بدأ الكيوس كومنين جهودا" دبلوماسية عظيمة من أجل إلحاق الهزيمة بالنورمان والبابوية.فقد اتفق بعد جهود من المراسلات الدبلوماسية مع هنري الرابع من عقد محالفة ثنائية ضد النورمان والبابا.وقد كان هنري يعاني من ضائقة مالية استطاع من خلالها الكيوس أن يعقد حلف ثنائي بعد أن وجهه سفراؤه إلى هنري وهم يحملون الذهب والحرير كإجراء لحل الأزمة المالية وباسلوب دبلوماسي كما وعده بدفع ٢١٦٠٠٠ قطعة ذهب بعد أن أهداه ١٤٤٠٠٠ قطعة ذهب و ١٠٠ قطعة من الحرير لتخليصه من ضائقته المالية،وفي نفس الوقت فقد بادر الكيوس إلى التقرب من جمهورية البندقية التي رأت من هجوم النورمان على شواطئ اليريا ومدينة دورازو خطرا" يهدد مصالحها في الأدرياتيك ومن خلال هذه النقطة فقد قدم الكيوس فرضا" للبندقية فيه الكثير من الامتيازات التجارية مقابل وقوف البندقية إلى جانب الاسطول البيزنطي في صراعه ضد جوسيكارد(٧).

وبهذا الحلف فقد اضطر النورمان إلى الانسحاب من دورازو ومن اليريا ومن جهات البلقان الغربية وكان ذلك نتيجة حتمية بسبب التحالفات التي عقدها الكيوس مع البندقية التي رأت أن مصلحتها متفقة مع الإمبراطورية في مقاومة النورمان الادرياتيك للمحافظة على الطرق التجارية والمراكز المهمة والحصول على امتيازات تجارية مع الإمبراطورية(٨).

ثانيا":العلاقة مع السلاجقة ١٠٨١-١٠٩٥م:

تعرضت الإمبراطورية البيزنطية منذ منتصف القرن الحادي عشر تقريبا"إلى خطر كبير وصل هذا الخطر ذروته عندما هزم البيزنطيون على يد السلاجقة هزيمة ساحقة في معركة ملاذكرد عام١٠٧١ على يد السلطان السلجوقي ألب أرسلان وقد اعتبرت هذه المعركة من أشد الكوارث الحاسمة التي وقعت في التأريخ البيزنطي(٩) ومفاد هذه المعركة أن الإمبراطور رومانوس الرابع أراد القيام بحملة أخيرة ضد الأتراك(السلاجقة) الذين اشتد عداؤهم للإمبراطورية،وصحب معه فرق مساعدة كثيرة من الحلفاء وغيرهم وانساق وراء غروره وتقدم لمهاجمة عدوه ووقع في الشرك

الذي نصبه له السلاجقة واسر إمبراطور الرومان وانتهى غالبية جيشه بين القتل والأسر وبهذا حلت الكارثة بالجيش البيزنطي إبان هذه المعركة(١٠).ولعل أهم من ذلك كله أن مأساة بيزنطة في ملاذكرد جاءت دليلا" على نهاية دور الدولة البيزنطية في حماية المسيحية من خطر الإسلام وفي حراسة الباب الشرقي لأوربا من غزو الأسيويين وبهذا الأمر صار على الغرب الأوربي دور كبير بدلا" من الاعتماد على الإمبراطورية البيزنطية.وبعبارة أدق وأوضح فان ماحدث سنة ١٠٩٥ من دعوات للحروب الصليبية في الغرب الأوربي إنما كان نتيجة رد فعل الكارثة التي حلت بالدولة البيزنطية سنة ١٠٧١م ولهذا فقد رأى بعض المؤرخين أن هذه المعركة هي البداية الفعلية لزوال الإمبراطورية الرومانية على الرغم من أن السلاجقة لم يستغلوا فرصة انتصارهم على البيزنطيين واكتفوا ومالوا إلى فتح الديار المصرية وعلى الرغم أيضا" فان البيزنطيين كانوا في نفس الوقت يعانون من صراعات داخلية سياسية وعسكرية حتى ان الطامعين في السلطة البيزنطية لم يتورعوا من الاتصال بالسلاجقة لتحقيق مطامعهم ورغباتهم بالعرش البيزنطي(١١).

وعند اعتلاء الكيوس كومنين العرش البيزنطي كان السلاجقة هم السادة الحقيقيون في آسيا الصغرى من الفرات شرقا" حتى بحر مرمرة غربا" وبذلك فقد بدأ الكيوس بحملات عسكرية ضد السلاجقة للتخلي عن بعض مواقعهم(١٢) ونجح في تحقيق بعض الانتصارات من خلال إبعاد السلاجقة على طول ساحل بحر مرمرة وقد توقفت تلك الحملات العسكرية بسبب وصول الحملات النورمانية بقيادة جوسيكارد إلى البلقان مما اضطر الكيوس إلىعقد معاهدة سلام مع السلاجقة بزعامة الزعيم السلجوقي سليمان بن قتلمش للتفرغ لمواجهة الخطر النورماني(١٣) .

## المبحث الثاني

### أحوال الإمبراطورية البيزنطية في القرن الحادي عشر والثاني عشر:

تعتبر هذه الحقبة التاريخية على جانب كبير من الأهمية لما تنطوي عليه من أحداث ومتغيرات تبدأ باعتلاء عرش الإمبراطورية البيزنطية القائد العسكري (الكيوس كومنين ١٠٨١-١١١٨) حيث أصبحت أحوال الإمبراطورية في هذه المرحلة تحكمها العلاقات الاستراتيجية التي كان قد رسمها الكيوس البيزنطية من حيث العلاقات الدولية وطبيعتها المرحلية ولكونها المدخل الحقيقي لفهم العلاقة البيزنطية- الصليبية.

كان الكيوس كومنين من ألمع القادة العسكريين وسياسيا" من الطراز الأول تمتع بسمعة عسكرية وسياسية مكنته من الوصول إلى العرش الإمبراطوري وكان وصوله إلى العرش يمثل مرحلة جديدة من مراحل تأريخ الإمبراطورية البيزنطية كونه قد نجح-ولو بشكل مؤقت- من إيقاف التدهور والانحطاط الذي كان قد ألم بالإمبراطورية بعد وفاة بازل الثاني (١٠٢٥م) وأنقذ الإمبراطورية من الأخطار الخارجية التي أحدقت بها فضلا" عن كونه قد أسس أسرة حكمت قرن من الزمن (١٠٨١-١١٨٥م) ولقد ورث الكيوس كومنين عن أسلافه الذين سبقوه وضعا" سيئا" للغاية في كافة النواحي الاقتصادية والعسكرية،فقد كانت الميزانية خاوية وكانت العملة البيزنطية الذهبية قد تم التلاعب بها وخلطها بمعادن رخيصة مما سبب في تعرضها للتدني من ناحية قيمتها في الأسواق العالمية الأمر الذي أدى إلى تدهور سمعتها في السوق كذلك فقد كانت موارد الإمبراطورية من آسيا الصغرى وجنوب إيطاليا قد توقفت وترتبط الناحية العسكرية مع الناحية الاقتصادية لأن جيش الإمبراطورية كان يغلب عليه طابع المرتزقة في تلك الفترة [١٤].

وكان الكيوس كومنين عند اعتلائه للعرش يفكر في معالجة الأخطار والدفاع عن الإمبراطورية قبل أي شيء وقبل أي إصلاح اقتصادي ووضع الاقتصاد في خدمة الإمبراطورية[١٥] ومن هذه الأخطار:

الحروب الصليبية ، نشأتها وأسبابها:

تعتبر الحروب الصليبية من أهم الحركات التي ساهمت في التأثير على مجرى تأريخ العصور الوسطى وصبغت هذه العصور بطابعها الخاص الذي تميزت به عن غيرها،وقد تباينت الآراء في تفسير طبيعة هذه الحركة ومعرفة بواعثها الكامنة والأسباب التي وقفت وراءها فمنهم من قال إنها وليدة الحماسة الدينية ومنهم من قال إنها نتيجة للتدهور والخضوع الذي أصاب الغرب ومنهم من رأى إنها مظهر من مظاهر التوسع الاقتصادي والاستعماري،ويبدو أن جميع هذه الأسباب قد ساهمت بشكل أو بآخر في توجيه هذه الحروب،وقد بدأت الحملات الصليبية منذ عام ١٠٩٦ حتى سنة ١٢٩١م واعتاد المؤرخون أن يهتموا بالحملات الثمانية فيها حيث قسمت على النحو آلاتي: أربع منها قد توجهت نحو الأراضي المقدسة(الأولى والثانية،والثالثة والسادسة) واثنتان منها توجهت نحو مصر(الخامسة والسابعة) وواحدة ضد القسطنطينية(الرابعة) والأخرى نزلت بشمال أفريقيا(الثامنة) وعلى الرغم من أن الحملات كانت أكثر بكثير من ثمان حملات إلا أن هذه الحملات كان لها شأن في التأريخ السياسي في العصور الوسطى ساهمت بشكل أو بآخر في تحريك الأحداث(١٦).

وفي حقيقة الأمر فان البابوية هي صاحبة الفضل الأول في إثارة فكرة الحروب الصليبية لا سيما عندما دعى لها مجمع(كليومونت) بفرنسا عام ١٠٩٥م وقد قوبلت هذه الفكرة بالاستجابة لنداء البابوية لأن العصور الوسطى كانت تتحكم فيها وتوجهها المثل الدينية من حيث(عصور الإيمان) وبإصدار الأساقفة قرارا" للمشاركين في هذه الحملة بغفران ذنوب كل المساهمين فضلا" عن وضع كل ممتلكات الصليبيين تحت حماية الكنيسة وان هذه الحروب ستتيح لهم فرصة تقبيل الصخرة التي صلب عليها المسيح والسجود أمام قبره يعد من أساسيات دخول الجنة نفسها الى غير ذلك من الضروب الكفيلة بتحريك مشاعر كل مسيحي والتخلص من البؤس والشقاء وهذه الحروب وجد فيها الفرصة للتخلص من النظام الإقطاعي ووضع

القماش الأحمر على شكل صليب في صدر كل مقاتل يعني الحصول على فرصة الخلاص من الفاقة ومن ثم الحصول على الأجر والثواب في الدنيا والآخرة[١٧]

## بيزنطة والبابوية ١٠٨١-١٠٩٥م

على الرغم من انتقال حكومة الإمبراطورية الرومانية إلى القسطنطينية إلا أن العاصمة القديمة ظلت تتمتع بمكانة تقليدية وقد كان البيزنطيون مستعدين لمنح أسقف روما مراتب دينية رئيسية في المسيحية ماداموا يتجنبون التدخل في شؤون إدارة كنيستهم الخاصة ولا يمس إمبراطور هم وقد جعل هذا الموقف من بيزنطة التعامل بصورة دقيقة وخاصة[١٨].

بدأت العلاقة بين الإمبراطورية البيزنطية والبابا في روما تسوء حينما اعتلى العرش الكيوس كومنين الذي تولى عرش الإمبراطورية بمعونة البطريرك كوزماس وبتأثير عائلة دوكاس فبادر البابا جريجوري السابع في نفس الوقت بإصدار قرار حرمان ضد الكيوس كومنين فما كان على الكيوس الا مجابهة التحالف الذي عقده البابا جيرجوري السابع مع النورماند بزعامة جويسكارد فكان شيئا" طبيعيا" وكرد على هذا الفعل أن أمرت السلطات البيزنطية بغلق جميع الكنائس اللاتينية في القسطنطينية[١٩].

وعندما تعرضت الامبراطورية البيزنطية لغزوات النورماند والبشنق والهزائم التي لحقت بالامبراطور الكيوس كومنين وفقدانه لخيرة محاربيه أيقن الكيوس بأن الغرب اللاتيني هو خير حليف يستعين به من خلال الجند المرتزقة الذين يستعين بهم للخدمة في جيوشه وكان يرى أن خير من يعينه في هذا الأمر هي كنيسة روما مما حصل تبدل وتغير في طبيعة العلاقة بين بيزنطة والبابوية وقد كانت الظروف في روما مساعدة على ذلك لا سيما عندما اعتلى اودومن لاجيري وهو أحد الأساقفة وتلقب بلقب بابا تحت اسم البابا أوربان الثاني ١٠٨٨م وكان هذا من الدبلوماسيين الذين يمتازون بحصافة ونظرة ثاقبة وكان يرى أن حل المشكلة مع الامبراطورية البيزنطية حلا" دبلوماسيا"[٢٠].

## شخصية أوربان الثاني:

يعتبر أوربان الثاني(أودومن لاجيري) من الشخصيات التي أعادت العلاقة مع البيزنطيين وتجاوز كل الأخطاء التي سار عليها البابا جريجوري السابع وإجراءاته الخاطئة في التعامل مع بيزنطة ويرجع الفضل إلى ابتكار فكرة الحروب الصليبية إلى البابا أوربان الثاني الذي فكر في مشروع لطرد المسلمين من آسيا الصغرى بنفس الجرأة والعزيمة التي طرد بها المسلمون من إسبانيا لا سيما وأن البابا أوربان الثاني كان يتمتع بدرجة كبيرة من النفوذ وسعة السلطان وكان أصلح شخصية لتنفيذ المشروع الصليبي[٢١] .بدأت العلاقة بين أوربان الثاني والكيوس كومنين تجري بمجرى حسن حينما بدأ أوربان بارسال رسالة مع وفد إلى القسطنطينية يطلب فيها من الكيوس بشيء من الرجاء والمحبة بأن تفتح أبواب الكنائس اللاتينية التي أغلقت وطلب أيضا" السماح لأتباعها بأداء شعائرهم الدينية الأمر الذي أدى الى حصول نوع من التقارب بين الكنيستين الشرقية والغربية ورفع قرار حرمان الكيوس كومنين ثم طلب الكيوس من البطريرك نيقولا الثالث(١٠٨٤-١١١١م) بأن يبحث في موضوع إدراج البابا أوربان الثاني في كنيسة بيزنطة[٢٢].والواقع فان الإمبراطور الكيوس كومنين قد اغتبط لهذه العلاقة التي كان يسعى من ورائها إلى طلب المرتزقة والحصول على مساعدة عسكرية للتخلص من نفوذ السلاجقة[٢٣].وعندما تعرضت البابوية لأزمة داخلية عقد أوربان الثاني مجمعا في بياستنرا (مارس ١٠٩٥م) للنظر في مسألة من ينازعه على الكرسي البابوي وأثناء انعقاد هذا المجمع وصل وفد بيزنطي إلى إيطاليا لجمع المرتزقة للذود عن الإمبراطور ضد السلاجقة وعلم أوربان الثاني بهذا الوفد فدعاهم وقد بالغ الوفد في وصف الخطر الذي يهدد الكنيسة في الشرق من أجل كسب همهم وصوروا حالة الآلام التي يتحملها مسيحيو الشرق من الأتراك[٢٤].على ان البابا أوربان الثاني كان يخطط في قرارة نفسه الى المشروع الصليبي وقد أحاط المشروع هذا بشيء من السرية الا انه بعد أن أنهى اجتماعاته الدينية في كليرمونت فانه قد وجه نداءا" الى المسيحيين جميعا" للاتحاد من أجل خلاص الأراضي المقدسة من المسلمين الأمر الذي صار من الغربيين تطلبه هو التوجه بالاسراع نحو نجدة اخوانهم وقد وجه نداءه هذا للفقراء والأغنياء على حد

سواء وخلاصة القول فان فكرة الحروب الصليبية كانت قد نبعت من هذه الخطة التي ألقاها أوربان في مجمع كليرمونت وجاءت هذه الصيحة إيذانا" ببدء صفحة جديدة في تأريخ الحركة الصليبية قد لها أن تستمر عدة قرون(٢٥).

وكان أوربان الثاني قد أظهر قدسية(أورشليم) وضرورة المحافظة عليها وتأمين وصول الحجاج إليها واعلان الغفران للمجاهدين وتعهد باعلان حماية المتطوعين وعوائلهم وحدد موعد الانطلاق من الغرب الى الشرق في الخامس عشر من أغسطس ١٠٩٦م وأخذ الغرب الأوربي يتأهب للقيام بهذه الحملة(٢٦).

وأول من جثى أمام قدمي البابا (أوهمار) أسقف بوي Puy.الذي كان يرجوا من البابا أن يكون له شرف المساهمة في هذه الحملة وبذلك أصبح أوهمار أول المتطوعين واختاره البابا ممثلا" للبابوية في الحملة الأولى وأراد أوربان الثاني بهذا التعيين أن يمثل إشراف وسيطرة الكنيسة على الحملة وعلى الأراضي التي سيقومون بغزوها(٢٧).

## بيزنطة والحملة الصليبية الأولى ١٠٩٧-١٠٩٩م:

لقد اعتاد المؤرخون عند الحديث عن الحملة الصليبية الأولى أن تقسم الى قسمين،يشمل القسم الأول الحملة الشعبية أو الحملة العامة،والقسم الثاني يشمل حملة الأمراء أو الحملة النظامية فبالنسبة للحملة التي قام بها العامة فقد كانت تتألف من الفقراء والنصوص والمجرمين وقطاع الطرق والرهبان من النساء و الرجال والأطفال ومن الفرنسيين والألمان وغيرهم(٢٨).

وقد فشلت ثلاث مجموعات من هؤلاء في الوصول إلى القسطنطينية نتيجة اصطدامهم بالمجرمين الذين عملوا بكل مايمكن لتشتيت شملهم أما البقية فقد وصلوا إلى القسطنطينية مما دعى الإمبراطور الكيوس كومنين بإصدار أوامره بالسماح لهؤلاء الصليبيين بالبقاء عند القسطنطينية حتى وصول حملة بطرس الراهب وأمر بتقديم سبل الاعاشة لهم ورحب الامبراطور الكيوس ببطرس الراهب الذي وصل القسطنطينية حيث أوصاه الكيوس بالبقاء وأتباعه حول أسوار المدينة وفيما يصل

أمراء الحملة النظامية مع توصية بأن يحترموا الأنظمة والانضباط واحترام حقوق السكان[٢٩].وكان زعماء الحملة الصليبية الأولى أقسموا جميعا" باستثناء (ريموند وتنكرد) بالولاء والتبعية للامبراطور البيزنطي الكيوس كومنين وتعهدوا له برد كافة الممتلكات البيزنطية القديمة التي يستطيعون استردادها من السلاجقة من نيقية حتى انطاكية مقابل ذلك تعهد الامبراطور بتقديم كافة المساعدات اللازمة وأن يسهم بدوره في الحروب الصليبية[٣٠].

## الإمبراطورية البيزنطية والحملة الصليبية الأولى :-الحملة الشعبية

أدى ظهور الصليبيين الى تجدد العداء بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني ويبدو أن الامبراطور الكيوس كومنين لم يكن مقتنعا" قناعة تامة بهذه الحملة لأن طلبه كان فرقة من المرتزقة وليس حملة صليبية ولم يستطع كومنين تقدير قيمتها حيث كان من بين قادتها عدوه النورماني بوهيموند.وعلى الرغم من ذلك فان الأمر قد فاق عليه وبذلك تعامل كومنين مع هذه الحملة بحذر شديد وحاول الانتفاع معهم وطلب منهم الولاء له حينما أمرهم باداء اليمين والقسم أمامه بالولاء واستطاع أن يستعملهم بالعمل على استعادة آسيا الصغرى[٣١].ويبدو أن الامبراطور الكيوس كومنين قد توجس من الصليبيين خيفة" حينما قام الصليبيون بمذبحة رهيبة في بلدة سملين Semlin الهنغارية على الحدود الهنغارية الصليبية وهم في طريقهم الى بيزنطة فوقع خلاف بينهم وبين الهنغاريين على المسيرة كان نتيجة قتل أربعة الاف من الأبرياء مما جعل الشك والريبة والتوجس من الصليبيين قد دخل واثارة ريبة في نفوس الصليبيين في أصل هذه الحملة التي قدمت الى الشرق لتحارب باسم المسيح والمسيحية،لذلك فقد قرر الإمبراطور الكيوس كومنين أن لا يدع لها أية فرصة في أن تعبث بأراضي ووحدة إمبراطوريته[٣٢].

واستمرت الحملة الصليبية في طريقها الى القسطنطينية جاعلة" من النهب والسلب للمدن والقرى التي تمر بها بادرة من بوادرها السيئة وهي تعبر عبر الأراضي وبالرغم من ذلك فان الكيوس كومنين الذي ضل ينصحهم بالهدوء والسكينة

الا انهم مالبثوا أن ظلوا ينهبون ويسلبون حتى أحس الكيوس كومنين بخيبة أمل البابوية الذي كان يطمح فيها أن تقدم له مساعدة حربية لا جيوش نهب وفوضى مما جعل الإمبراطور ان يعيد النظر في سياسته اتجاه الصليبيين وقرر الإسراع بنقلهم الى الشاطئ الآسيوي للبسفور،وأشار عليهم بالبقاء والتجمع عند أحد المراكز الحصينة قرب البسفور الى أن تأتيهم الامدادات والجيوش النظامية[٣٣].واستمر الصليبيون على نفس الوتيرة التي ساروا عليها من خلال الاعتداء والسلب والنهب على المدن والمزارع والقرى وحتى الكنائس القريبة منهم وبدءوا يوسعون دائرة نشاطهم وعدوانهم متجهين هذه المرة باتجاه الجنوب الشرقي والاقتراب من مناطق نفوذ السلاجقة،الا ان السلاجقة هاجموهم بقوة وأوقعوا فيهم أقسى الخسائر وبذلك فشلت حملتهم بعد هزيمتهم هزيمة" نكراء أمام السلاجقة حيث لم يبق من الحملة التي كان عددها(٢٥) الف جندي صليبي سوى ثلاثة الاف جندي يتزعمهم بطرس الناسك ووالتر المفلس[٣٤].نيقية قريبة منهم وعلى بعد عدة كيلومترات فقط وكان السلطان قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش يتزعم السلاجقة الأتراك والذي عمل على مباغتة الصليبيين الذين بدءوا يتوجهون نحو نيقية منتهزين فرصة غياب بطرس الناسك في القسطنطينية الذي ذهب لمقابلة الامبراطور البيزنطي وحلت بهم الكارثة،وحال سماع الامبراطور البيزنطي بهذا النبأ فانه أرسل امدادات بيزنطية لمساعدتهم الا ان الهزيمة حلت بالصليبيين قبل وصول امدادات الامبراطور فعادت الحملة الشعبية الى القسطنطينية وهي تجر فلول الهزيمة وظلت في رعاية الامبراطور البيزنطي الى ان وصلت حملة الامراء[٣٥].ويبدو لي من خلال الحملة الشعبية(العامة) انها كانت منذ البداية يسودها عدم التجانس بين أفرادها وتسودها أيضا" الانقسامات والخلافات وعدم التنظيم والقيادة الموحدة الامر الذي ميزه منذ وجودها أمام أسوار القسطنطينية الكيوس كومنين وسار على نهج فيه الكثير من الحنكة السياسية حماية" لدولته مع العمل في نفس الوقت من الاستفادة الى أقصد حد ممكن من القوات الصليبية التي قذف بها الى من الغرب الى الشرق وقد نجح الى حد ما في السير قدما" على الخط الذي رسمه لنفسه ونفذ خطته بدقة تامة وحافظ على احترام تعهدات للصليبيين في الوقت الذي كان يحاول فيه جاهدا" ابعاد الخطر الصليبي عن دولته قدر المستطاع

ومن ثم الاستيلاء على ما يمكن الاستيلاء عليه من الاراضي عن طريق الصليبيين ومن خلال هذا الامر تبين لنا نوعية العلاقة التي كان يسير عليها الطرفان مع بعضهما،فالامبراطور كان يساير الصليبيين خوفا" على دولته أولا" ومن ثم الحصول على مايمكن الحصول عليه من حروبهم والصليبيين كانوا يرون الأمان في الامبراطورية والحصول على المكاسب الاقتصادية من خلال حروبهم وفي هذه المسألة أيضا" يبظهر لنا رأي أخر حول عبور الحملة الشعبية البسفور بعد أن سمح لهم بذلك الكيوس كومنين ولقي هؤلاء بالقوة على يد الأتراك من هزيمة ساحقة والسؤال الذي يثار حول هذه المسألة هو: هل كان هدف الكيوس كومنين عندما أرسل الصليبيين الى ضفة البسفور الاسيوية أن يلقي بهم الى حتفهم؟ أم ان السبب في حادثة نيقية كان مجرد نتيجة لأطماع عصابات الحملة أم السبب بطرس الناسك وتقصيره في هذا الأمر؟وينبغي حينما نتعرض للاجابة على هذا السؤال أن نتابع ما تقدم من الحملة وما جرى من خلال وصولها الى القسطنطينية وبتلك الأعداد وما قام به الامبراطور من تقديم المساعدات والأرزاق والمؤن لهم وكيف هم ساروا بخط السلب والنهب على الرغم من تحذيره لهم باستمرار بعدم سلوك مثل هذا الأمر وقد جاهد أيضا" معهم في منعهم من دخول القسطنطينية لأنه كان واثقا" كل الثقة من أن دخولهم الى القسطنطينية كان يؤدي الى خرابها على أيديهم لولا حسن تدبيره لأمر نقلهم وعبورهم الى البسفور لتخليص عاصمته من السقوط والانهيار،أما الأمر الأخر هو العامل الأكثر قوة من الأول أن هؤلاء تنقصهم القيادة والخبرة وحسن الاعداد والتوجيه ولم يكن لهم علم بفنون القتال وعلى الرغم من ذلك فقد حذرهم أيضا" الامبراطور من مغبة الهجوم على السلاجقة وأمرهم بالبقاء على أمل وصول الأمراء.ويبدو لنا من خلال هذه المذبحة التي حصلت أثناء الحملة العامة.ان العلاقات بين البيزنطيين من جهة والصليبيين من جهة أخرى قد تأثرت بفعل ذلك الأمر فمن جهة الكيوس كومنين فان مخاوفه بدأت تتزايد أكثر فأكثر وأخذ يتوقع الكثير من المساوئ والاحتمالات ومن جهة الصليبيين فانهم بدءوا ينظرون الى الكيوس كومنين انه كان سببا" في مذبحة نيقية لذا بدأ الكيوس يعد العدة وتحديد موقفه من الحملة القادمة للمحافظة على امبراطوريته والعمل على استمالتهم قدر الامكان لتحقيق

اغراضه مؤكدا" لهم في حالة التزامهم بالهدوء وعدم القيام بأية أعمال تخريب فانه سيمدهم بالمال والقوات خلال مرورهم عبر أراضيه أما اذا تصرفوا كقطاع طرق فانه سوف يشهر السلاح ضدهم مستخدما" معهم القوة ومانعا" عنهم التموين والمؤن(٣٦) .

حملة الأمراء :

أما بالنسبة للشطر الثاني من الحملة الصليبية الأولى وطبيعة العلاقة التي تمخضت من خلالها بين الشرق البيزنطي والغرب الصليبي مبتدءا" من خلال المجموعة الأولى التي قادها الأمير جودفري وأخوه بلدوين فضلا" عن وجود كبار الأمراء فيها والتي وصلت الى بيزنطة في تشرين الثاني ١٠٩٦م(٣٧).فعقدت الامبراطورية البيزنطية اتفاقية معهم بالالتزام بوصايا الامبراطور في عدم القيام باعمال السلب والنهب داخل أراضي الامبراطورية في مقابل ذلك أن يتعهد الامبراطور بتقديم كافة المساعدات اللازمة لهم.وتم نقل هذه المجموعة بقيادة جودفري الى الشاطيء الاسيوي ويتم الانتظار الى أن تصل المجموعة الأخرى التي كانت بقيادة بوهميتد النورماني وابن أخته تنكرد وعدد من أمراء النورمان وجنوب ايطاليا وصقلية والتي ما أن وصلت سنة ١٠٩٧م حتى عقد معها اتفاق ودخلت في طاعته ثم نقلوا الى الشاطيء الاسيوي الى جانب حملة جودفري تقدمت المجموعة الرابعة يتزعمها ريموند الرابع ألذي أقسم يمين الولاء للامبراطور في الطاعة كما فعل من سبقه ومن ثم فصلت المجموعة الرابعة من الصليبيين الفرنسيين يتزعمهم الأمير روبرت بن وليم الفاتح وأعلن أيضا" يمين الولاء للامبراطور(٣٨) وأسرعوا للالتحاق ببقية المجاميع على أمل الهجوم على نيقية ويجب أن لا نغفل أمرا" ان هذه المجاميع هي مجاميع غير متجانسة من الناحية التنظيمية فضلا" عن عدم وجود من يقودها بشكل موحد مما ساد فيها الانقسام منذ الوهلة الأولى وكانوا يتنافسون أيضا" للانفراد بالقيادة والزعامة العليا للصليبيين وكسب تأييد الامبراطور البيزنطي لهم من خلال تعهدهم له باعادة جميع الأراضي التي استولى عليها السلاجقة من الامبراطورية البيزنطية(٣٩) وبدأ الصليبيون حملتهم ضد نيقية فحاصروها وشددوا عليها الحصار وكان السلاجقة يتزعمهم قلج أرسلان الذي عجز عن الدفاع عن

مدينته فراسل الامبراطور البيزنطي يدعوه للاستسلام واستلام المدينة على شرط أن يحافظ على نسائهم وأطفالهم وجميع سكان نيقية في حالة الخروج منها مع جميع ما يملكونه وهكذا اعتبرت نيقية بأيدي الصليبيين البيزنطيين واشتبكوا في ضورليوم مع أمير السلاجقة في معركة عنيفة انتهت بهزيمته هزيمة" نكراء حصل من خلالها الصليبيون على الكثير من الغنائم ثم توجهوا بعد ذلك الى انطاكيا والرها[٤٠] .

معركة ضورليوم :

هذا وتعد معركة ضورليوم يوليو ١٠٩٧ واحدة من المعارك المهمة والفاصلة والتي كانت تعني ظهور قوة جديدة في مسرح الشرق الأدنى هي القوة الصليبية الغربية وقد تفوقت على السلاجقة بعد أن عجز البيزنطيون من الانتصار عليها[٤١] .وهذا الأمر يذكرنا بمعركة ملاذكرد التي انتصر فيها السلاجقة على البيزنطيين وهزموهم هزيمة" نكراء بعد أن أسر امبراطورهم رامونس الرابع وقد أوفى الصليبيون بوعودهم اتجاه الامبراطور الكيوس كومنين في تسليمه المدن التي غزوها على انه بدأت في الوقت نفسه أفكار وطموحات الأمراء الصليبيين تأخذ منحى اخر غير الذي جرت عليه العادة والقسم بالولاء فقد بلدوين البولوني بالاغارة على امارة الرها الأرمنية وجعلها امارة لاتينية فكان أول أمير صليبي يتمكن من تأسيس امارة صليبية لنفسه في الشرق[٤٢] هذا اذا ماعلمنا أن أمراء الأرمن والأرمن أنفسهم كانوا كانوا قد فرحوا بمقدم الصليبيين لانقاذهم من ضغط المسلمين المحيطين بهم ويبدو أن توجه بلدوين الى الامارات الأرمنية لم يكن وليد الساعة ولم يكن اعتباطا" بل جاء نتيجة رغبة الأرمن والاتصال بالصليبيين أثناء وجودهم بقلقيلية لتخليصهم من تهديدات السلاجقة مما جعل أمراؤها يفكرون وينظرون الى الحملة الصليبية الى الشرق الادنى بمثابة الفرج لهم من الضغط الذي كانوا يتعرضون له على الرغم من تبعيتهم للامبراطور البيزنطي في الوقت نفسه فقد كان المسيحيون الصليبيون في حاجة ماسة ايضا" الى مساعدة الأرمن على مشارف بلاد الشام ليفتحوا أبواب الوطن العربي في الشرق الأدنى أمام الغزاة الصليبيين[٤٣] وهكذا خرقت الاتفاقية التي كانت قد عقدت بين أمراء الصليبيين والامبراطور البيزنطي في القسطنطينية من قبل بلدوين الذي لم يكن حريصا" على الوفاء بتعهداته والتزاماته اتجاه الامبراطور

البيزنطي فصارت حكومة بلدوين في الرها ذات صبغة لاتينية أرمنية وهكذا بدأت مرحلة جديدة من العلاقات باحتلال الرها بعد أن فضل الامبراطور البيزنطي ان يتغاضى مؤقتا" عما حصل في الرها لبعدها عن مركز الامبراطورية ولأنه كان في وضع يصعب الدخول في مشاكل مع الأمراء(٤٤).

العلاقة أثناء حصار انطاكية وبعد سقوطها :

أما انطاكية التي كانت واحدة من المدن المحصنة حيث تحصنها الجبال المرتفعة من الجنوب والشرق ويحدها من الغرب نهر المعاصي والبحر ومن الشمال مستنقعات وأحراش وقد كانت انطاكية من القلاع المحصنة التي يصعب الاستيلاء عليها زحف اليها الجمع الأكبر من الصليبيين لغزوها ويتألف معظم الجيش الصليبي من كبار الأمراء وكان يقودهم الامير بوهيمتد وكان الممثل البابوي أوهمار أسقف بوي (Puy) .

ووصل الجيش الصليبي الى انطاكية في ٢١ تشرين الأول ١٠٩٧م وكانت انطاكية خاضعة انذاك لحكم الأمير باغي سيان من قبل السلاجقة وكان يمتاز بدرجة عالية من القدرة والكفاءة في الدفاع عن المدينة(٤٥)وفي عودة الى الوراء في التأريخ فان المسألة الانطاكية لم تكن وليدة الحملة الصليبية الأولى فحسب وانما كانت وليدة صراع مر بين نورمان جنوب ايطاليا والامبراطور البيزنطي خلال القرن الحادي عشر وقد تبين بمرور الوقت ان حملة جويسكارد ضد بيزنطة(١٠٨١-١٠٨٥م) ظلت حلما" في عيون أبنائه من بعده لهذا لم يكن مستغربا" على الاطلاق أن يؤسس بوهيمتد بن جويسكارد على حساب بيزنطة امارة في انطاكية،ولقد أحس منذ البداية بوهيمتد أن حملة على انطاكية سيكون لها وقع في نفوس البيزنطيين-حكومة" وشعبا"- وكان يتوقع أنه سيصطدم بهم نتيجة" لعدم الثقة به رغم أن بوهيمتد حاول كسب ثقة الامبراطور البيزنطي وأخبره أنه صديق مخلص للامبراطورية وأقسم يمين الولاء والطاعة بين يدي الامبراطور(٤٦) وعند وصول بوهيمتد والقائد البيزنطي تاتيكوس ضربا على انطاكية حصارا" وحاول بوهيمتد خلال ذلك أن يستغل الظروف ويسخرها لصالحه لا سيما بعد أن عجز من دخول انطاكية المحصنة لذلك بدأ يحاول

التخلص بأي وسيلة من الوسائل للتخلص من تاتيكوس ممثل الامبراطور البيزنطي الذي كان يشارك الصليبيين باسم الامبراطور وابعاده عن انطاكية قدر المستطاع لكي لا يكون موجودا" وقت استيلاء الصليبيين على انطاكية ولكي لايلزم بوهيمتد بالالتزام بتعهداته اتجاه الامبراطور لاسيما بعد أن أقسم أمامه وقد نجح بوهيمتد في اقناع القائد البيزنطي من أن يترك انطاكية ويتوجه بحرا" الى قبرص وقد أبلغه ان الأمراء الصليبيين يخططون للتآمر عليه لأنهم كانوا يعتقدون بأن قدوم كربوغا* لتخليص انطاكية انما كان بتحريض من الامبراطور الكيوس كومنين(٤٧) وهكذا استطاع بوهيمتد أن يقنع القائد البيزنطي بترك انطاكية واستطاع في نفس الوقت اثارة الرأي العام الصليبي ضد بيزنطة من خلال اتهام البيزنطيين بالخيانة العظمى متهما" قائدهم بالخيانة وتركه الصليبيين في أحرج الاوقات ومشيرا" الى ان بيزنطة بهذه المسألة فانها نقضت اتفاقية القسطنطينية وبالتالي سقط حقها في المطالبة بانطاكية وهكذا تم لبوهيمتد التخلص من تبعيته لبيزنطة ونجحت خطته التي حاكها الى أبعد الحدود(٤٨) لكونه قد كسب الرأي العام الصليبي وبالتالي التخلص أيضا" من الوصايا البيزنطية،وهكذا عقد الزعماء الصليبيون اجتماعا" قرروا فيه ارسال سفارة الى الامبراطور البيزنطي الكيوس كومنين يدعونه للحضور الى تسلم انطاكية على شرط أن يزحف معهم الى بيت المقدس وفي الوقت نفسه بعثوا برسالة الى البابا أوربان الثاني(سبتمبر ١٠٩٨م) يخبرونه بكل ماحدث لهم ويخبرونه أيضا" بوفاة ممثله أوهيمار وقدموا له دعوة" بالحضور لتسلم كنيسة القديس بطرس في انطاكية(٤٩)

وكان جواب الامبراطور الكيوس كومنين أنه طلب من الصليبيين انتظاره حتى شهر يوليو ١٠٩٩ وهذا الرد المتأخر من الامبراطور قد قوى ودعم مركزه خلال هذه الفترة(٥٠).واذا ما تمعنا جيدا حول مسألة العلاقة بين الامبراطور من جهة وبوهيمتد من جهة أخرى أثناء غزو انطاكية نجد أن الدهاء الذي تميز به بوهيمتد قد نجح بشكل كبير بحيث نجد أن الامبراطور كان موقفه سلبيا" جدا" اتجاه انطاكية وفيه الكثير من قصر النظر والتردد وكثرة المخاوف والشكوك لكونه لم يستغل الفرصة الصليبية التي أتته حينما تمت مراسلته بعد فتح انطاكية من قبل بوهيمتد ما أعطى موقفه هذا صدى ضعيف مثل ضعفه أمام الصليبيين الأمر الذي أثارهم بالزحف على

بيت المقدس على الرغم من أن الامبراطور كان يدرك تمام خطورة قيام امارة نورمانية في انطاكية وكان يدرك تمام الادراك أن انطاكية باحتلال النورمان لها ستكون خنجرا" في جنب الامبراطورية يعيق سياستها في البحر المتوسط واسيا الصغرى وأوربا بشكل عام وايطاليا بشكل خاص ويبدو أن الامبراطور باحتلال النورمان لأنطاكية أصبح بموضع لا يحسد عليه وكأنه كان يحس بالخذلان من هذا الأمر العامل الذي أدى الى جعل بوهيمند ينادي في التوجه نحو بيت المقدس.

العلاقة خلال غزو بيت المقدس :

ثم توجه الصليبيون بعد ذلك الى مهاجمة بيت المقدس في تشرين الثاني ١٠٩٨ وعلى رأسهم الأمير ريموند الصليبي فوصلوا الى معرة النعمان ثم الى كفر طاب وبوصول الصليبيين الى هذه المناطق بدأ احتكاكهم بالعرب واماراتهم العربية الصغيرة التي كانت تدرك منذ بداية الغزو خطورته مما أدى الى أن تتبع سياسة الموادعة والمسالمة معهم فوصلو الى معرة النعمان ولم يحترموا الأمان الذي أعطوه لأهلها فغدروا بأهل البلد ورفعوا الصلبان فوقها ونهبوا ما وجدوه أمامهم ثم تحركت الحملة الصليبية الى بيت المقدس[٥١].أما طبيعة علاقة الصليبيين بالامبراطورية البيزنطة خلال حملة بيت المقدس فقد أرسل الامبراطور البيزنطي الكيوس كومنين برسالة الى الأمراء الصليبيين في ١٠ أبريل ١٠٩٩م وهم رابضون أمام عرقة وقد قدم الامبراطور في رسالته هذه عرضا" بين فيه كيفية النكث بالعهود والتي كان قد قطعها بوهيمند للامبراطور وعرض الامبراطور في رسالته على الصليبيين الانتظار ليحضر حتى أواخر يونية ويشترك معهم في الزحف على بيت المقدس ويتحمل عنهم كل نفقات الحرب وأوزارها[٥٢] وقد رحب ريموند الصليبي بمقترح الامبراطور في حين عارض الكثير من الأمراء وعلى رأسهم جودفري بوايون فكرة انتظار الامبراطور البيزنطي وحجتهم هي أن العرض جاء متأخرا" وأن الامبراطور طالما وعد وأخلف بوعوده في مساعدة البيزنطيين وكانت غاية ريموند بقبول رسالة الامبراطور هو أنه كان يحلم بتأسيس امارة عرقة الا ان رأي أغلبية الأمراء كان الى جانب جودفري.

وفي ٧ يونية ١٠٩٩م دخل الصليبيون جميعا" بيت المقدس فقاموا بمذبحة كبيرة في بيت المقدس كان قد ذهب ضحيتها الكثير من المسلمين الذين دافعوا عنها دفاعا" مستميتا" وظلت هذه المذبحة التي حصلت في يوليو ١٠٩٩م تثير الأسى في قلوب المسلمين فأثار نجاح هذه الحملة مشكلة أساسية هي تحديد وضع البلاد التي فتحها الصليبيون وماهية الطريقة والكيفية التي يتم بها تنفيذ دولة غربية على أرض شرقية[٥٣].

أولا" : ألبابوية تبشر بحملة صليبية ضد بيزنطة (١١٠٧) :

انتهت أحداث ١٠٩٩ بالنزاع والانشقاق في العلاقات السياسية والعسكرية بين الصليبيين والبيزنطيين وقد كانت نتائج عام ١٠٩٩ هي لصالح الطرفين فقد ثبتت بيزنطة أقدامها في اسيا الصغرى وفي نفس الوقت أيضا" تم تأسيس مستعمرات لاتينية في الشام وظلت مسألة انطاكية محط خلاف ونزاع بين الطرفين وظل بوهيمند يتحين هذه المرة الفرصة لتوسيع رقعته على حساب البيزنطيين من خلال معاونة البياذقة له وبدأت مرحلة جديدة من تأريخ العلاقة البيزنطية -الصليبية هي مرحلة توسع الصليبيين على حساب الأراضي البيزنطية فبدأت العلاقة بينهما تسوء شيئا" فشيئا" حينما احتل تانكريد بالهجوم على اللاذقية في عام ١١٠٢م وكان هذا الأمر يشكل أسوأ مراحل العلاقات لما للاذقية من أهمية كبيرة اذ انها تفتح للامارة منفذ الى البحر والى الغرب الأمر الذي شغل بال الامبراطور البيزنطي[٥٤]وفي هذه الأثناء كان بوهيمند قد وقع أسيرا" بيد الأتراك مما جعل تانكريد أن يتولى شؤون انطاكية،وقد أسرع الامبراطور الى التحالف مع ريمون دسان جيل ضد النورمانديين من خلال معاونة سان جيل بتثبيت أقدامه في طرابلس الشام عام ١١٠٢م من أجل مضايقة النورمانديين.ولما عاد بوهيمند من الأسر طالبه الامبراطور البيزنطي باعادة انطاكية وارجاعها الى الأملاك البيزنطية ومن جهته رفض بوهيمند طلب الامبراطور الأمر الذي أدى الى قيام الحرب بين الطرفين فبدأت مرحلة جديدة من تأريخ العلاقات البيزنطية-الصليبية حينما اتخذ الامبراطور موقفا" هجوميا" ضد الصليبيين من خلال الاستيلاء على قاقيلية وأدنه ومايسترا وحاصروا اللاذقية واستولوا على بعض المراكز الهامة على الساحل في الوقت نفسه كان الأتراك يهاجمون الصليبيين من

الجهة الأخرى وأنزلوا بهم هزيمة نكراء وكان ذلك في عام ١١٠٤م عند مدينة حران وتمخض عن ذلك أيضا" أن حوصرت الرها بعد فترة وجيزة[٥٥].

## حملة بوهيمند ضد بيزنطة ١١٠٧م والعلاقة التي نتجت من جرائها :

بات من الواضح أمام بوهيمند أن الحلم الذي رسمه لنفسه في بناء دولة نورمانية في شمال الشام بدأ ينهار ويتلاشى لاسيما بعد وصول الأتراك الى مشارف انطاكية وبعد أن استردت الامبراطورية البيزنطية قلقيلية واللاذقية ومن ثم محاولتها في استرداد انطاكية أيضا" لذلك اعتبر بوهيمند هذا الأمر هو بمثابة الاجهاز على الامارة النورمانية التي كان قد أقامها مع ابن أخته تانكريد وانطلاقا" من هذا المبدأ فقد وضع بوهيمند نصب عينيه في شن حملة جديدة ضد بيزنطة ولذلك عمل على استدعاء ابن اخته تانكريد من الرها وعهد اليه بالوصاية على انطاكية بعد أن اجتمع بامراء امارته-علمانيين وكنسيين- في كنيسة القديس بولص وأخبرهم بما يحيط بهم من خطر محدق وأعلن لهم عزمه على الذهاب لأوربا طالبا" المساعدة منهم فغادر في خريف ١١٠٤م خليج السويد وبعث الى الامبراطور البيزنطي الكيوس كومنين برسالة مليئة بالتهديد والوعيد له ولامبراطوريته[٥٦] ويبدو أن الموقف السياسي للحالة التي تمر بها أوربا من خلال الحروب الصليبية ان الأمر كان مشجعا" لبوهيمند وفي هذه الفترة بالذات للاتصال بأوربا والسير قدما" في مشروعه وذلك لأن الرأي السائد في أوربا انذاك أن الامبراطور الكيوس كومنين كان هو المسؤول الأول عن الصعوبات التي حلت بالحملة الصليبية الأولى لاسيما حملة(١١٠١م) فضلا" عن معاملته الخشنة للغربيين والأمر الذي يشكك لدى الغرب الأوربي في سوء نية الامبراطور الكيوس كومنين هو حينما تحالف مع الأتراك ضد الصليبيين على الرغم من دفاع الامبراطور عن نفسه[٥٧] أمام الغرب ازاء هذا القصور وأبرز مثال على ذلك هو ما حدث عندما استقبل الامبراطور الكيوس كومنين أسقف برشلونة اللاتيني واسمه ماناسيس في القسطنطينية أواخر عام ١١٠١م وأوائل عام ١١٠٢م وطلب منه اقناع البابا ببراءة بيزنطة من كل الاتهامات التي وجهت اليها الا أن هذا الاسقف فعل العكس فقد رفع تقارير بين فيها خيانة الامبراطور الكيوس وذلك في مجمع بينفشتو الذي عقده عام ١١٠٢م مما قوى جبهة بوهيمند فلاقت مهمته القبول

الحسن فصار هدفهم هذه المرة القسطنطينية التي عدت هدفا" سياسيا" لأي برنامج صليبي(٥٨). ويبدو من رحلة بوهيمتد الى أوربا أنه نجح في كسب ود البابا باسكال الثاني في روما الذي كان متأثرا" بالتقارير التي كان قد رفعها مانا سيس عن خيانة الامبراطور الكيوس كومنين وقد اتت أكلها هذه المقابلة بحيث أقنع بوهيمتد البابا بكل القصورات التي كانت قد قدمت له عن الكيوس كومنين فاقتنع قناعة" تامة وصار يرى من الضروري القيام بحملة ضد بيزنطة وامبراطورها وبات واضحا" للعيان أن العلاقات السياسية بين الشرق البزنطي والغرب الأوربي قد صارت بين طرفي كماشة على الرغم من كل ماقدمه الامبراطور الكيوس من مساعدات للحملة الصليبية ولكن يبدو أن الأمر قد خطط له أثناء تقدم الحملات الى الشرق باسقاط الامبراطورية بصورة مباشرة أوغيرمباشرة والافما الداعي الذي جعل الغرب الأوربي والكنيسة تقوم بارسال حملات غير متجانسة أومتماسكة في كل شيء وهي تعلم علم اليقين أن أمراء حملتها كانت غايتهم تحقيق مكاسب خاصة ولو تطلب الأمرضرب وقتل حتى مسيحيي الشرق.

ونحن لسنا بصدد الدفاع عن الامبراطور البيزنطي بقدر ما يتخذ هذا الموضوع جوانب شتى وذات وجهات مختلفة تشتت انتباه المتتبع للأحداث بشكل سطحي فعلى المتتبع للحروب الصليبية أن يرى أن الامبراطور البيزنطي كان يعمل في جبهات مختلفة مع تلك الحملات وبأساليب أيضا" مختلفة لمداراة أمراء الحملة الذين كان البعض منهم يحمل له في نفسه هذه كراهية" وانتقام في نفس الوقت.

وهكذا أخضع البابا للتيار الغربي في معاداة الامبراطور البيزنطي وبارك المشروع الذي عرضه بوهيمتد عليه وقدم باسكال الثاني راية القديس بطرس لبوهيمتد كوسيلة من وسائل المباركة له وعين في الوقت نفسه الأسقف برونو (Bruno) مندوبا" بابويا" للتبشير بحملة بوهيمتد ومن هذا يبدو لنا واضحا" أن هذه الحملة لم تكن ذات صبغة سياسية فقط بل حضيت بمباركة الكنيسة أي أنها حملة كانت تحمل صفتين دينية و سياسية وهذا الأمر يعتبر نقطة تحول عظيمة على صعيد العلاقات بين الكنيستين القسطنطينية وروما.وكأن الأحداث تعيد نفسها فقد كان

بالأمس البابا جريجوري السابع يبارك لمشروع جويسكارد والد بوهيمتد ضد بيزنطة واليوم يقوم ابنه بالعمل نفسه(٥٩).

وهكذا تقدم بوهيمتد في أواخر سنة ١١٠٦م أمام جموع الصليبيين من جنسيات أوربية مختلفة(فرنسيين،اسبان،إيطاليين،إنكليز،ألمان) وعند مدخل الأدرياتيك قرر بوهيمتد مهاجمة مدينة دورازو والتي تعد من أقوى القلاع البيزنطية وهي مفتاح مقدونيا في اكتوبر ١١٠٧م وعلى مايبدو أن هذه المدينة قاومت الصليبيين مقاومة" باسلة تمثل ذلك بوقوف الامبراطور الكيوس كومنين أمام قوة بوهيمتد الذي كان يفتقر الى قوة بحرية ومن ثم انتشار الأمراض بين صفوف جيش بوهيمتد معززا" ذلك قوة الامبراطور البيزنطي فتمكن من نشر الذعر في نفوس جيش الصليبيين فما كان من بوهيمتد الا أن يوقع معاهدة صلح مع الكيوس كومنين سمي بصلح دفول (Devol)*سنة ١١٠٨م وبموجب هذا الصلح أصبح بوهيمتد تابعا" أمينا" للامبراطور ولدولته وتعهد أن يعاونه ضد أعدائه واعادة جميع الممتلكات التي أخذها منه واعادة قلقيلية واللاذقية للبيزنطيين والموافقة على عزل البطريرك الكاثوليكي في انطاكية وتعيين بطريرك أرثوذكسي بدلا" عنه وتعهد بوهيمتد بأن يحارب تانكريد في حالة رفض الأخير قبول المعاهدة التي عقدها خاله مع الامبراطور وكان بوهيمتد بعد ذلك مستاءا" من الموقف الذي حدث له وتحطمت أحلامه التي طالما حلم بها وبعد فضيحة بوهيمتد عاد الى ايطاليا واحتجب عن الأنظار الى أن توفي سنة (١١١١م)(٦٠).وفي التقييم النهائي لهذه الحملة يمكننا القول أن الصليبية ابان هذه المعركة فانها لم تعد قاصرة على مهاجمة وغزو الجماعات غير المسيحية وانما بات بالامكان مهاجمة وغزو جماعات مسيحية غير مرغوب فيها في نفس الوقت فقد بدأت مرحلة جديدة من مراحل الصراع الصليبي-البيزنطي تمثل ذلك بظهور عدو اخر كان قد أخذ على عاتقه أمر البيزنطيين.

الا ان الأمر لم يطل في العداء بين تانكريد والكيوس كومنين فبمرور عام على وفاة بوهيمتد كان تانكريد قد تبعه بوفاته سنة ١١١٢م فانطوت صفحة بوهيمتد وتانكريد وعدائهما للامبراطور البزينطي وبيزنطة(٦١).

ولقد استمر الكيوس كومنين يحاول التقرب الى الغرب بشكل جدي وبشتى الوسائل السياسية فقد قدم الكيوس رسالة" الى شعب روما عبر فيها عن أسفه عما حل بالبابا باسكال الثاني حينما سجنه الامبراطور الألماني هنري الخامس في ١٢ فبراير ١١١١م وأجبر البابا على تتويجه امبراطورا" بكثير من الذل والهوان فعبر الكيوس في رسالته الى الشعب الروماني بيّن فيها امتداحه لصلابة موقفهم من الامبراطور الألماني هنري الخامس وفي الوقت نفسه حاول الكيوس أن يستغل الفرصة فأعلن نفسه ورغبته واستعداده ليكون صاحب التاج الغربي له أو لابنه يوحنا كومنين ثم أرسل الكيوس رسالة" الى البابا باسكال الثاني تحمل نفس المعنى الأول،وفي مايو ١١١٢م أرسل أهل روما ممثلين الى الكيوس جاءوا لمناقشة المقترحات التي بعثها بصدد التاج ومن ثم وعد الامبراطور في الوقت نفسه بزيارة روما للاتفاق النهائي مع الشعب الروماني الا ان مرضه حال دون ذلك وقد واصل باسكال اتصالاته مع الكيوس من أجل توحيد الكنيستين التي كان قد أبدى الامبراطور الكيوس رأيا" في التوحيد،في الوقت نفسه كان الامبراطور تداعبه خيالاته وأحلامه من أجل كسب التاج الروماني على الرغم من أن الفجوة بين الكنيستين كانت عميقة" جدا" في الوقت الذي كان مجلس الكرادلة في روما ينظر الى أحلام الكيوس في التاج بكثير من السخرية الى أن جاءت رسالة البابا باسكال الثاني عام ١١١٥م وهي تخلو من الاشارة الى مقترح الكيوس السياسي في حين انصب الكلام على توحيد الكنيستين وكان البابا يرى أن الكنيسة الشرقية يجب أن تعترف بامارة البابا خليفة بطرس الرسول بل ان البابا يصر على خضوع الكنيسة القسطنطينية للسلطان البابوي مما جعل الأمر بات من الصعب تحقيقه.وفي هذه المرحلة توقفت المفاوضات بين بيزنطة وروما وأدرك كومنين أن مقترحه جاء عبثا" على المستوى السياسي مع اللاتين في الوقت الذي استمرت فيه الكراهية الغربية لكل ماهو بيزنطي.والجدير بالقول هو المهارة السياسية والقيادة العسكرية والدبلوماسية التي تميز بها الكيوس كومنين*في علاقته مع الغرب فلولاها لكانت القسطنطينية قد دمرت منذ عام ١١٠٧م ان لم يكن قبل هذا التأريخ(٦٢).

## الخاتمـــــــة

رغم العديد من الاسباب التي أعطيت للحملات الصليبية وغزوات الغرب اللاتيني على الشرق،تلك الغزوات التي كانت مغطاة" بغطاء ديني تتسعها سرا" وعلانية" أطماع أمراء تلك الحملة الاقطاعيين الذين كانوا يبحثون عن مغامرة لهم في الشرق تمنحهم امتيازات في الاحتكاروتعطيهم قطاعات كواحدة من هبات الكنسية في الشرق لأولئك القادمين من الغرب ولو كان ذلك على حساب مسيحيي الشرق من بني جلدتهم رغم كل التصريحات التي صرح بها زعماء وأمراء وبابوات الحملات الصليبية لكل مسيحي يسعى للدخول الى الجنة من خلال انقاذ بني جلدته من الاضطرابات والموت الذي يعانوه من قبل مسلمي العرب وهكذا تبينت كذبتهم بالخيانة منذ المرحلة الأولى للحملة لاسيما بعد أن سارت هذه الحملات عن الخط الذي عرفه مباركوها وانحرفت الى الخط الصريح والواضح ذو النوايا الحقيقية لكل ما قاموا به من جهود تبشيرية.ويبدو أن الامبراطور البيزنطي في الشرق قد تفاجأ بما أعده الغرب هذه المرة من حملات فبدلا" من ارسالهم مجموعة مرتزقة وهي كاعادة المتبعة سابقا" حيث كان المتعارف عليه سياسيا" وعسكريا" أن الامبراطورية البيزنطية كانت تعمد في تجهيز جيشها بالمقاتلة بالاعتماد على مرتزقة أوربا لكن الأمر هذه المرة قد بدأ منافي وخطير لم يخطر على البال من قبل امبراطور بيزنطة الكيوس كومنين الذي يعد واحدا" من أبرز الأباطرة الذين استعادت بهم الامبراطورية البيزنطية في عهدهم شيئا" من مجدها وهيبتها وذلك لما اتسم به من مهارة ونشاط سياسي مغفل لكل الصواب حينما رأى تلك الجموع الهائلة الذين كان يتوقع أنهم جاءوا لنجدته وتخليصه من نفوذ السلاجقة الا أن أمرا" لم يكن بالحسبان قد وقع وهو أن هذا الأمر قد تحول كله الى لعبة سياسية لعبها معه أمراء تلك الحملات فصار لزاما" عليه اللعب معهم بنفس القواعد والنظم من خلال الدبلوماسية التي عرفت عنه بما ينسجم مع مصالح امبراطوريته ولم يكن يعلم أيضا" أن هذه النجدة الحربية التي طلبها من الغرب ستتحول الى مشروع صليبي كبير تكون الامبراطورية البيزنطية أحد أهدافه المادية مستقبلا".وبذلك فقد أصبح الامبراطور أمام حملة ومشروع صليبي حيث لم تكن هناك فكرة في بيزنطة عن أي حرب صليبية الأمر

الذي يؤخذ على ذلك مدى السرية التي كانت تعتمدها أوربا في اقامة مثل هذه الحملات وتحقيق صورها بالاسباب الواردة.وفي الوقت نفسه فقد حاول الامبراطور الكيوس كومنين انتهاج نهج سليم من أجل تحقيق مصالحه الذاتية فبدلا" من محاولته التخلص منهم رغم مفاجأته بهم،استعملهم في العمل على استرجاع اسيا الصغرى وقد وعدوا باعادة كل الأراضي البيزنطية ثم بدأت تنكشف نوايا الصليبيين شيئا" فشيئا" حتى أصبحت القسطنطينية جزءا" من المخطط الصليبي وصار احتلالها شيء لا بد منه.وبناءا" على ما تقدم فقد كانت العلاقات بين بيزنطة والصليبيين تمتاز بنوع من الانزعاج بين كل طرف من أطرافها فقد كانت الامبراطورية البيزنطية بزعامة الكيوس كومنين تسعى جاهدة" من أجل الحفاظ على ممتلكاتها من الغزو النورماندي والسلجوقي بشتى الطرق وذلك أثناء الغزو الصليبي للشرق وكانت هذه الاستعانة تدل على ضعف الامبراطورية البيزنطية في استعادة ممتلكاتها لذلك فان نوع العلاقة امتاز بالخوف من الصليبيين.وهم بهذه القوة الهائلة والأعداد الكثيرة التي كانت مفاجأة كبرى لكل من شاهدهم.ورغم ذلك فقد كانت أيضا" الأطماع في الكسب غاية أمراء الحملات فلم يبالوا لكل الاجراءات التي كان قد اتخذها الكيوس كومنين في منعهم من أن يتحولوا الى غزاة من أجل المال والاقطاعيات حتى ولو كان ذلك على حساب بني جلدتهم من مسيحيي الشرق ويتبين للباحث المدقق في طبيعة العلاقة بين بيزنطة والغرب الأوربي الفوارق التي حدثت أثناء سقوط الدولة الرومانية في الغرب وكان هذا السقوط من أسباب البقاء للدولة الشرقية التي حافظت على قوتها ومكانتها الا أنها بدأت تفقد أجزاءا" مهمة" من دولتها حتى قدوم الحملات الصليبية التي فقد فيها الامبراطور الكيوس كومنين قوته وبدأت تخبطاته السياسية تفقده بعض أجزائه وكانت في نفس الوقت تقود هذه الحملات شخصيات بارزة عسكريا" وسياسيا" أمثال بوهيمتد وتانكريد اللذين كانا من أعداء الامبراطور فقد كان هذان الشخصان يمتازان بقوتهما لاسيما احتلالهما لانطاكية فكان ذلك مصدر انزعاج كبير للبيزنطيين بسبب أطماعهما من جهة فتحولت العلاقة بين الكيوس كومنين والغرب الى علاقة عداء لاسيما بعد أن حاول الامبراطور فرض معاهدة ١١٠٨م على بوهيمتد التي رأى فيها أنها ستضمن نجاح السياسة البيزنطية التي هدفت لوضع انطاكية تحت سيادة

الامبراطورية الا أن بوهيمند كان قد خول هذا الأمر الى غضبة كبيرة وتكالب كبير من الغرب على بيزنطة وامبراطورها وتحول هذا الأمر الى مؤامرة على بيزنطة لاحتلالها وانهاء حكم الامبراطور الكيوس كومنين نهائيا" وهكذا نادى الغرب باسقاط الكيوس وتقليص نفوذ امبراطوريته وتحولت طلباته من الغرب لاعادة ممتلكاته الى نقمة ألمّت بامبراطوريته وأنهت حكمه وربما كان من الممكن له أن يكون حاكما" كبيرا" فهو أدرك خطورة نفوذ النبلاء الاقطاعيين على كيان الامبراطورية وعاملهم بحزم وشدة ،ومهما يكن من أمر فقد انتشرت الشائعات المعادية للبيزنطيين خلال الغرب واتسعت الهوة بين اللاتين والبيزنطيين. وهكذا تكررت نفس الحالة عند كل حملة تتوالى على الشرق.

وأخيرا" أسأل الله العلي القدير أن أكون قد أديت جهدا" ووفيت للبحث جهدا" ومثابرة".

((والله ولي التوفيق))

الهوامش :

(١) عمر كمال توفيق،تاريخ الإمبراطورية البيزنطية،دار المعارف. مصر١٩٦٧م، ص١؛ ستيفن رانسيمان،المدينة البيزنطية والحروب الصليبية،ترجمة صالح أحمد العلي،وزارة المعارف بغداد ١٩٥٦م،ص٢١.

(٢) سورة الروم،آية ١-٤.

(٣) ستيفن راينسمان، المصدر السابق ،ص٢٢ ،٢٤

(٤) عمار توفيق ،المصدر السابق ص١٤١؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، مكتبة ألانجلو مصرية،١٩٦٣م ص١٤٨.

(٥) عادل زيتون،العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطى ، دار دمشق ، ١٩٨٠م ، ٦٢-٦٣ .

(٦) عادل زيتون ، المصدر السابق ص ٦٢ ،٦٣ .

(٧) إسحاق تاوخروس عبيد،روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين ٨٦٩-١٢٠٤م دار المعارف القاهرة ١٩٧٠م، ص ١٤٥.

(٨) عبد القادر أحمد اليوسف،الإمبراطورية البيزنطية،ص١٤٥.

(٩) عادل زيتون المصدر السابق،ص٧٦.

(١٠) سعيد عبد الفتاح عاشور،أوربا العصور الوسطى،التأريخ السياسي ط٨ مكتبة الأنكلو مصرية-مصر ١٩٨٥م،ص٧٠٩ ،٧١٠

(١١) ستيفن رايسمان،المدينة البيزنطية والحروب الصليبية،ص١٤٦.

(١٢) عادل زيتون،المصدر السابق ، ص٨٢ ،٨٣.

(١٣) سعيد عبد الفتاح عاشور،تأريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت ١٩٧٢م؛ عادل زيتون، المصدر السابق،ص٨٢.

(١٤) عادل زيتون ،المصدر السابق ،ص٤٩ ،٥٠.

(١٥) عبد القادر أحمد اليوسف،الإمبراطورية البيزنطية،دار المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا بيروت ١٩٦٩،ص١٤٤، ١٤٥.

(١٦) سعيد عبد الفتاح عاشور،أوربا العصور الوسطى التأريخ السياسي،ص٤٢٨.

(١٧) سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية،ج١،ص١٣٤.

(١٨) اسحاق تاوه خروس عبيد،روما بيزنطة ص٥٠ ،٥١.

(١٩) سعيد عبد الفتاح عاشور،الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تأريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى،ص١٣٠-١٣١.

(٢٠) عادل زيتون،العلاقة السياسية والكنسية،ص٨٥ ،٨٦.